الفصل السادس

سياسة الرفاق بين الخديو والاحتلال وظهور الأحزاب

١ ــ استقالة كرومر وتعيين جورست ٠

٢ ــ انقسام الحركة الوطنية وظهور الأحزاب ٠

٣ ــ الحزب الوطنى ودوره فى قيادة الحركة الوطنية ايام مصطفى كامل ٠

obeikan.com

١ ــ استقالة كرومر وتعيين جورست :

نتيجة لنجاح الانجليز فى احباط حركة المعارضة التى قام بها الخديو فى الأعوام الأولى من حكمه ، وتهديدهم المستمر له بالعزل ، اضطر الخديو الى اتباع سياسة الوفاق الظاهرى والمقاومة السرية تجاه الانجليز ، ثم جاءت حادثة فاشودة فزادت من تقرب الخديو من الانجليز ، ولكن تمسك اللورد كرومر بخطته الرامية الى التقليل من شأن الخديو جعل ذلك الأخير ينفر منه ويتردد فى السير فى وفاقه مع الاحتلال ، فشجع الحملات المعادية لانجلترا ، ومثال ذلك ما حدث فى أزمتى طابة ودنشواى .

وفى ٢٤ مارس ١٩٠٧ نشرت جريدة الاجبشيان استاندارد تصريحات أدلى بها الخديو لمكاتب جريدة الطان ونصها « أنا أحب بلادى حبا شديدا كما يعرف كل مصرى كيف يجب أن يحبها ، وتعلقنا بهذا الوطن عظيم فهو وطننا الخاص ، وفيه خيرنا وله كل محبتنا ونكره أن نموت فى وطن آخر سواه [١] » وأنكر بصفة قاطعة وجود أى تعصب فى مصر بقوله « ان التسامح من أعظم قواعد ديننا [٢] » ثم تحدث عن التهمة الموجهة اليه وخلاصتها أنه يريد أن يوجد لنفسه سلطة شخصية يستعملها على النمط الشرقى فقال « اننى تعلمت وأدركت بواسطة تربيتى الأوربية أنه لابد من اتحاد الأمة مع ملكها فى العمل لمصلحة البلاد وحسن ادارتها ، أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق ولا أقوى على احتماله » وختم كلامه بقوله « لقد بذلت كل قواى

---

(١) أحمد شفيق : المرجع السابق . الجزء الثانى . القسم الثانى ، ص ١١٣ ــ ١١٤

(٢) نفسه : ص ١١٤

عاملا لمصلحة بلادى ، ما عارضت مطلقا فى عمل اعتقدت أنه نافع لمصر، ولم أرفض فى حياتى الاصغاء للنصائح والارشادات [٣] » .

وقد سر مصطفى كامل من هذا الحديث ونشرته اللواء فى صدر صفحاتها الأولى بعد أن وزعت اعلانات تلفت فيها النظر لما ستنشره ونتيجة لما أحدثه هذا التصريح من غضب للانجليز فقد اضطر الخديو الى استدعاء الشيخ على يوسف طالبا معونته بقوله « الحقنا ! الولد مصطفى كامل عمل عملة بطالة ؟ أولا وزع منشورا أمس صباحا لفت فيه أنظار الناس لتصريحاتى ، ثم نشرها فى جريدته بطنة ورنة » .

ثم اتفق الخديو مع الشيخ على أن يكتب المؤيد والمنبر بأن الأمر لم يكن يدعو الى هذه الحركة الصبيانية لأن ما قاله الخديو لمكاتب الطان لم يكن فيه ما يدعو لهذه الضجة وبالفعل تم ذلك [٤] .

ثم أدلى الخديو بحديث للمستر دايسى Dicey مكاتب جريدة الديلى تلجراف فى ٣١ مارس ١٩٠٧ أوضح فيه رغبته فى التفاهم مع الانجليز وانه يرى فى الاحتلال أمرا طبيعيا ويفضله عن أى احتلال آخر كما أوضح أنه بالرغم من احترامه للسلطان فانه لا يسمح بالتنازل عن أى حق اكتسبته مصر من الدولة العثمانية ثم عرج الى مدح الملك ادوارد ملك انجلترا .

ونظرا لما فى هذا الحديث من تأكيد لتواجد الاحتلال لمصر فقد هاجمته الصحف الوطنية بشدة مما اضطر الخديو الى انكاره فأوعز الى الشيخ على يوسف بأن ينشر فى المؤيد بأن فكرته عن الاحتلال لم تتغير [٥] .

---

(٣) احمد شفيق : المرجع السابق ص ١١٤ .

(٤) نفسه : ص ١١٤

(٥) نفسه : ص ١١٦

ومما سبق يتضح رغبة الخديو فى أن يوضح للانجليز أن تأييده للحركة الوطنية انما يرجع الى عدم قدرته فى التعامل مع كرومر . ونتيجة لذلك ونتيجة لما أثارته حادثة دنشواى استاء الأحرار الانجليز من كرومر وسياسته فى مصر .

وكتب دايسى Dicey مقالة ذكر فيها أنه من الخير لانجلترا ومصر أن يحل مكان كرومر معتمد بريطانى يكون أصغر عمرا وأقل ميلا الى الحكم المطلق حتى يستطيع التفاهم مع الخديو لأنه من مصلحة انجلترا الانتفاع بما للخديو من نفوذ شخصى فى مصر باعتباره صاحب السلطة الشرعية بها (٦) ، يضاف الى ذلك أن دايسى انتقد سياسة كرومر فى كتابه The Future of Egypt كما انتقد تصرفاته أيضا مع الموظفين الانجليز فى مصر ، واتهمه بأنه يجبرهم على تنفيذ تعليماته حتى ولو كانت مخالفة لآرائهم (٧) .

ورغبة من الحكومة البريطانية فى امتصاص غضب الحركة الوطنية فى مصر وفى كسب ود الخديو قررت عزل كرومر (٨) وتعيين الدون جورست معتمدا بريطانيا جديدا ليطبق سياسة جديدة من شأنها المحافظة على المصالح البريطانية فى مصر بطريقة أكثر دبلوماسية (٩).

وعلى كل حال فقد كانت استقالة كرومر انتصارا للحركة الوطنية اذ اعتبر مصطفى كامل أن سبب ذلك يرجع الى ما أحدثته دنشواى من آثار كان لها أكبر الأثر فى ضيق الأحرار الانجليز والمتمدنون فى

---

(6) Alexander : op. cit., p. 98 - 99.

انظر ايضا : الجريدة . العدد ٥٨ فى ١٨ مايو ١٩٠٧ تحت عنوان « رأى ديسى فى كرومر » .

(7) Dicey : The Future of Egypt p. 198 - 200.

(٨) عباس العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية . القاهرة ــ مطبعة حجازى ١٩٣٦ ، ص ١٣٩.

(9) Ronald Storrs. Orientations, 1934 p. 66.

أنحاء الأرض من كرومر [١٠] .

وكان جورست صاحب خبرة بشئون مصر حيث عمل فى عدة وظائف أهمها منصب المستشار فى كل من نظارتى الداخلية والمالية [١١] كما كان على علاقة وثيقة وطيبة بالخديو .

وقد رحب الخديو عباس بجورست واعتبر تعيينه بمثابة ترضية له من ملك بريطانيا وحكومتها [١٢] .

وجاء جورست الى مصر مزودا بتعليمات تقضى بأن يخفف من نتائج السياسة التى طبقها كرومر فى مصر ، وأن يسعى للقضاء على الحركة الوطنية باتباع سياسة الوفاق مع الخديو [١٣] وقد قدم جورست أوراق اعتماده الى الخديو فى قصر رأس التين بالاسكندرية فى ١٦ مايو ١٩٠٧ ، فرحب به الخديو وأظهر سروره وابتهاجه بعودته الى مصر بعد أن خدمها مستشارا للداخلية ومستشارا للمالية ، كما أعرب عن شدة أسفه واستيائه من الذين يهيجون أفكار الناس بدلا من القيام على اصلاح وطنهم بالطرق المشروعة [١٤] ولكى يرضى جورست الخديو أغمض عينيه عن كثير من المسائل . فبدأ باطلاق يد الخديو رويدا رويدا فى أعماله الخاصة ، مثل استغلال أموال الأوقاف وبيع الرتب والنياشين بأثمان غالية يضاف الى ذلك أن جورست

---

(١٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤١

(١١) للتفاصيل انظر : ملف خدمة ومعاش سير الدون جورست دار المحفوظات العمومية . دولاب ٤١ عين ١ محفظة رقم ٨٤١ دوسيه ٢٢١٨٥

(١١) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ١١٩

(١٢) روز شتين : تاريخ المسألة المصرية ، ص ٣٤٧

(١٣) المقطم : العدد ٥٧١٠ فى ٩ يناير ١٩٠٨ تحت عنوان « حديث الجناب العالى » .

(١٤) عباس العقاد : المرجع السابق : ص ١٤١

أطلق يد الخديو فى أعمال الحكومة فى سبيل أن يشن الخديو حربا خارية على الحركة الوطنية وبوجه خاص الحزب الوطنى .

وقد أعقب تودد جورست للخديو قيامه بحركة تطهير للموظفين الانجليز الذين أساءوا الى وظائفهم واعتقدوا أن الشرق لا يستحق من أساليب الحكم الا تلك الأساليب التى اصطلحوا على تسميتها بالأساليب الشرقية ويعنون بها المراوغة والتلفيق[١٥] .

ولما أحس مصطفى كامل بأن هدف الوفاق هو بذر بذور الشقاق بين الأمة والخديو طالب الوطنيين بالحذر من السياسة الجديدة كما أرسل الى جوليت آدم موضحا بأنه وان كان سقوط كرومر يعتبر نصرا وطنيا فان اختيار جورست سيطيل أمد الكفاح لأنه يرغب فى ايجاد سوء تفاهم بين الوطنيين والخديو[١٦] .

٣ ــ انقسام الحركة الوطنية وظهور الأحزاب :

أدى يأس الوطنيين من الحصول على مساعدة فعالة ضد الاحتلال من أوربا وتركيا أو من الخديو الى ضعف الحركة الوطنية وانقسامها الى ثلاث أقسام :

١ ــ قسم يشمل بعض كبار الملاك وبعض المثقفين من أتباع الشيخ محمد عبده ، وكان هدفهم حماية مصالح كبار الملاك على أساس أنهم أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد ، وكانوا على استعداد للتعاون مع الاحتلال وبوجه خاص بعد أن رأوا ثمار اصلاحاته فى الزراعة والرى .

٢ ــ قسم يشمل أنصار الخديو وعلى رأسهم الشيخ على يوسف

---

(١٥) عباس العقاد : المرجع السابق ، ص ١٣٩

(١٦) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٢٨٥

وكان هدفهم تحقيق الاستقلال الادارى ثم اقامة حكم نيابى مقيد بسلطة الخديو واستمر هؤلاء ينتقدون الاحتلال نقدا معتدلا .

٣ ــ فريق مصطفى كامل وهو الذى حمل لواء المعارضة القوية ضد الاحتلال واعتمد هذا الفريق على المثقفين بوجه عام[١٧] .

ومن هذه المجموعات تكونت الأحزاب المصرية الكبرى الثلاثة وهى حزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية والحزب الوطنى ولما كان موضوع دراستنا هو الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى فاننا سنقصر حديثنا فى هذا المقام على الحزب الوطنى .

(أ) نشأة الحزب الوطنى :

كان تعبير الحزب الوطنى معروفا فى مصر قبل ظهور مصطفى كامل بعشرات السنين فعندما أحس المصريون بالخطر على مصير بلادهم وفكروا فى التخلص من الخديو اسماعيل الذى لا يحسن تصريف شئون البلاد تم الاتفاق بين الجمعية السرية التى تكونت من ضباط الجيش[١٨] وجمعية حلوان (*) على تأليف « حزب خفى من العظماء والكبراء والعلماء سموا أنفسهم بالحزب الوطنى .

وقد يؤدى تسمية تلك الهيئة السياسية بالحزب الى لبس كبير لأنه لم يكن حزبا يقابل أحزابا أخرى من أبناء البلاد تتعارض فى

---

(١٧) د. جمال المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(١٨) كون هذه الجمعية على الروبى فى عام ١٨٧٦ اى بعد هزيمة الجيش المصرى فى حرب الحبشة .
للتفاصيل انظر الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ المجلد الثانى ص ٤٧٠ .

(*) جمعية سرية تكونت فى ابريل عام ١٨٧٩ وضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم من الشخصيات السياسية الرافضة لسياسة رياض باشا .

المبادىء والبرامج على النحو الذى نعهده اليوم فى الأحزاب السياسية: ولكنه فى حقيقته كان هيئة واحدة شاملة للحركة الوطنية فى جملتها ، وانما سمى بالحزب ليقابل جماعة الشراكسة والترك والألبانيين والأرمن الذين كانوا يتبعون الدولة العثمانيـــة ، وينفردون بولاية الحـــكم فى الوظائف الكبيرة ، وأكثر الوظائف الصغيرة ، فالحزب الوطنى على هذا الاعتبار كان هو حزب المصريين الفلاحين أو حزب الأمة المصرية (٢٠).

ومعنى ذلك أن لفظ الحزب الوطنى كان قد أطلق على مصطفى كامل وجماعته قبل نشأة الحزب رسميا عـــام ١٩٠٧ ، يذكر الدكتور هيكل أنه أثناء تواجد مصطفى كامل بباريس عام ١٨٩٥ صرح بأنه يعمل من أجل توضيح القضية المصرية ، وأنه موفد من قبل الحـــزب الوطنى علما بأن هذا الحزب لم يكن له وجود فى عام ١٨٩٥ ولكنه حاول أن يذكر الفرنسيين بالحـــزب الوطنى الذى كان يطلق على العرابيين والذى ضربه الانجليز بعد تخلى فرنسا عن مصر (٢١) ، يضـــاف الى ذلك أن سلطات الاحتلال كانت تشير الى جماعة مصطفى كامل باسم الحزب الوطنى . وقد عبر مصطفى كامل عن ذلك بقوله « ان الحزب الوطنى الذى جعل أول مراميه وأسمى غاياته استقلال مصر ورد حقوقها اليها موجود فيها فعلا من ثلاثة عشر عاما مضت ، فهو وان لم يظهـــر بشكل نظامى وبلائحة ولجنة ادارة قد ظهر بأعمال اتفق أعضاؤه على خدمة البلاد بكل قوة ، وقاوم الاحتلال فى أوربا ومصر مقاومة شهدها كل المصريين والغربيين (٢٢) » .

والجدير بالذكر أن الجمعيـــة السرية التى تكونت فى عام ١٨٩٦ تحت رئاسة الخديو والتى عبر عنها مصطفى كامل بأنها « حزب سرى مخلص للغـــاية وعلى اســـتعداد للتضـــحية بذاته فى ســـبيل الوطن

---

(٢٠) عباس العقاد : محمد عبده ص ١٧٨ .
(٢١) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٥٢ .
(٢٢) اللواء فى ١٠ اكتوبر ١٩٠٧ .

المقدس [٢٣] » كان يطلق عليها اسم الحزب الوطنى وقد أوضح لطفى السيد ذلك بقوله « كونا تحت رعاية الخديو عباس جمعية سرية فى بادىء الأمر وكانت هذه الجمعية هى الحزب الوطنى [٢٤] » .

والواضح أن فكرة تأسيس الحزب الوطنى قد راودت مصطفى كامل قبل الاعلان عن تأسيسه بمدة ، ففى عام ١٩٠٠ فكر فى اقامة حزب على غرار الأحزاب الأوربية وأوضح عن ذلك فى اللواء معربا عن أمنيته فى تأسيس هذا الحزب [٢٥] ولكن خشيته من تفتيت الجبهة الداخلية جعله يحجم عن تنفيذ فكرته .

وقد ظلت فكرة تأسيس الحزب الوطنى تراود خيال مصطفى كامل وعندما اجتمع بالخديو فى خريف ١٩٠٦ اتفق معه على تأسيس الحزب الوطنى وكانت نقطة الخلاف حول هل سيكون الحزب سريا أو علنيا وكان رأى الخديو أن يكون سريا ثم انتهى الأمر بأن يكون علنيا [٢٦] ومع ذلك لم يسرع مصطفى كامل فى تكوين حزبه ، بل تريث فى الأمر حتى أواخر ١٩٠٧ خشية تفتيت الجبهة الداخلية ، ولكن ظهور حزبى الأمة . والاصلاح على المبادىء الدستورية قد دفعاه الى الاسراع فى تأسيس حزبه ، وقد أوضح مصطفى كامل ذلك فى خطاب أرسله الى محمد فريد قال فيه « ان ظهور حزب الأمة المؤلف من أولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم الى مسايرة المحتلين وفقا لما يسمونه سياسة اللين والتدرج ، وان ما علمته كذلك من صاحب المؤيد على تأليف حزب باسم « حزب الاصلاح » لخدمة سياسة السراى ، هذان الأمران يحتمان علينا كل التحتيم أن نظهر حزبنا الوطنى بالرغم

---

(٢٣) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ٣٩ .

(٢٤) اللواء الجديد . العدد الخامس فى ١٩٤٤/١٢/١٠ « حديث لطفى السيد باشا » .

(٢٥) اللواء فى ٢ يوليه ١٩٠٠ تحت عنوان «حزب وطنى حر فى مصر »

(٢٦) مذكرات محمد فريد ملف رقم (١) الجزء الأول ــ القسم الأول ص ١ .

هنا مظهره الحقيقى حتى يعلم العالم كافة أن للوطن المصرى حـزبا يطالب بعزيمة صادقة الجلاء والدستور أى أنه لا يقبل حكم الأجنبى ولا حكم الفرد » ، ثم أوضـح مصطفى كامل الأسـباب التى تجعله لا يرغب فى تعدد الأحزاب فقال « نعم انى أرغب الآن كل الرغبة فى ظهور هذا الحزب بحال منظمة بالرغم من وطنيتى التى ترى فى تعـدد الأحزاب حربا أهلية لا مندوحة منها ؛ حربا تعوق ولو الى حين ما نرمى اليه من حرية واستقلال بتقوية مركز المحتل لبلادنا ولكن ما العمـل ونحنُ لو سكتنا أمام هذه الحال التى ما أوجدها الا دهـاء جورست وقصر نظر المؤلفين لهذين الحزبين لفقدنا كل شى ، ولأصبحت الوطنية المصرية عدما فى عدم بتغليب المبادىء السقيمة عليها وتقاعس المخلصين لنصرتها وانمائها »[٢٧] .

وما سبق يتضح أن مصطفى كامل رغم أمنيته فى أن يرى فى مصر حزبا وطنيا منظما الا أنه خشى أن يبدأ بهذه الخطوة حتى لا تنقسم الجبهة الداخلية ؛ واستمر على هذه السياسة حتى ظهر حزبا الأمـة والاصلاح على المبادىء الدستورية ، فاضطر الى أن يعلن عن حزبه حتى لا تضيع الأهداف الوطنية وسط المتاهات الحزبية .

ففى الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٠٧ دعا مصطفى كامل الوطنيين لمؤتمر عام بمسرح زيزينيا بالاسكندرية حيث ألقى خطبة طويلة أعلن فيها عن قيام الحزب الوطنى ودعا أفراد الأمة الى الانضمام اليه[٢٨] . فانهالت عليه الطلبات من كل جانب وعقدت أول جمعية عمومية للحزب يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ بدار جريدة اللواء بالقاهرة وافتتح مصطفى كامل الجمعية العمومية بخطبة نوه فيها بوجود الحزب الوطنى من قديم ثم أشار الى ضرورة تنظيمه موضحا أن الحزب الوطنى لم يكن حزبا

---

(٢٧) جوليت آدم : انجلتـرا فى مصر — ترجمـة على فهمى كامـل ص ٢٧٣ .

(٢٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٢ .

سياسيا فحسب بل هو قبل كل شيء حزب حياة للأمة وانهاض لهـا ؛ حزب يهتم بتعليم سائر طبقات الشعب ، ويرى أن استقلال البلاد هو أساس كل سعادة ويسعى للوفاق بين أفراد الأمة كما يقوم بتحسين حال الفلاح[٢٩] .

وبعد خطاب مصطفى كامل ألقى محمود بك أنيس كلمة مجد فيها أعمال مصطفى كامل وكفاحـه فى سـبيل مصر ، وبعـد ذلك انتخب الحاضرون بالاجماع مصطفى كامـل رئيسا للحـزب الوطنى مـدى الحياة[٣٠] ، وبعد التصديق على اللائحـة قام الحاضرون بانتخـاب الأعضاء الثلاثين للجنة الادارية الأولى للحزب[٣١] .

والجدير بالذكر أن الحزب الوطنى كان الحزب الوحيد من الأحزاب الثلاثة الكبيرة ــ الذى التزم بنهج ديمقراطى فى تنظيمه اذ رفض أن يفرض على أعضائه لجنة ادارية معينة كما حـدث فى حزبى الأمـة والاصلاح بل ترك الأمر للجمعية العمومية التى قامت بانتخاب أعضـاء اللجنة الادارية المكونة من ثلاثين عضوا وانتخبت هذه اللجنة التنفيذية المكونة من تسعة أعضاء[٣٢] .

أما عن برنامج الحزب فقد تضمن مبادىء عشرة هى :

١ ــ الاستقلال التام لمصر كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات السلطانية ذلك الاستقلال الضامن عرش مصر لعائلة محمـد على والضامن للاستقلال الداخلى للبلاد وهو الاستقلال الذى تعهدت انجلترا رسميا باحترامه .

---

(٢٩) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٣٠) انتقد سعد زغلول ذلك بقوله أن كون التعيين مدى الحياة غيـر معهود فى الأحزاب .
انظر مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٦ ص ٢٩١ ــ ٣٠٠ .

(٣١) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٣٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتـلال البريطانى ، القاهرة ــ الانجلو المصرية ١٩٧٠ ص ٥٧ .

٢ ــ ايجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا .

٣ ــ احترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائيــة ما دامت مصر مدينة لأوربا وما دامت أوربا تطلب هذه المراقبة .

٤ ــ انتقاد الأعمال الضــارة بكل صراحة والاعتراف بالأعمــال النافعة والتشجيع عليها وارشاد الحكومة الى خــير الأمــة ورغائبهــا والاصلاحات اللازمة لهــا .

٥ ــ العمل على نشر التعليم فى أنحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ، ومحاربة الخزعبلات والترهات ونشر المبادىء الدينية السليمة الداعية للرقى ، وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات فى البلاد وارسال الارساليات لأوربا وفتــح المدارس الليليــة للعمــال والصناع .

٦ ــ ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة ، والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى .

٧ ــ ارشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة الى حقائق الأحــوال وبث الشعور الوطنى فيهم ، ودعوتهم الى الاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقباط وتنبيههم الى واجبــاتهم نحو بلادهم .

٨ ــ مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قــوة على قوتهــا .

٩ ــ تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب وازالة سوء التفاهم بينهم اذ وجد .

١٠ ــ تقوية العلاقات الودية بين تركيا ومصر من جهة ، وبين مصر والدول الأوربية من جهة أخرى ونفى كل تهمة عن مصر ، والعمل لايجاد أنصار لهـا فى أنحاء العالم حتى تكون لهـا قوة أدبية سامية تساعدها على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى تعمـل ضدها ويراد بها اخفاء الحقيقة[٣٣] .

الآراء التى قيلت فى تأسيس الحزب الوطنى :

وتختلف الآراء التى قيلت عن تأسيس الحزب الوطنى فهناك رأى يرى أنه كان من الواجب على مصطفى كامل وجماعتـه محـاربة حركة تجزئة الأمة وتفتيت وحدتها بأن تبـادر بكشف أساليب الاسـتعمار وأعوانه بدلا من أن تسارع الى تنظيم نفسها على شـكل حزب بعـد الاعلان عن حزبى الأمة والاصلاح على المبادىء الدستورية[٣٤] . ولكن ردنا على ذلك هو أنه رغم اختمار فكرة تكوين الحزب الوطنى فى ذهن مصطفى كامل الا أنه لم يقدم على هذه الخطوة الا بعد الاعلان عن حزبى الأمة والاصلاح وبعد أن كاد صوت الجلاء يضيع وسط المتاهات الحزبية ، فالواضح أن الحزب الوطنى كان آخر الأحزاب الكبيرة التى أعلنت عن نفسها فقد أعلن عن قيام حزب الأمة فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ وحزب الاصلاح فى ٩ ديسمبر من نفس السنة .

بينما الحزب الوطنى لم يعلن عن قيامه الا فى ٢٧ ديسمبر من نفس العام يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل رغم أنه اضطر الى قبول مبدأ تكوين الحزب السياسى فانه ظل يدافع عن فكرة مبدأ الحـزب الواحـد .

---

(٣٣) تقرير الحزب الوطنى عن سنة ١٩٠٧ ــ القاهرة . مطبعة اللواء ١٩٠٨ ص ٢١٦ ــ ٢٢١ .

(٣٤) محمد عبد السلام الزيات : الاتجاهـات المعـاصرة فى التنظيم السياسى القاهرة ــ الانجلو المصرية ص ١٤٧ .

وكان من رأى مصطفى كامل أن تعدد الأحزاب ممكن طالما أن الوطن ليس معرضا للخطر ، أما وقد أصبحت مصر محتلة من الانجليز ، فان مواجهة الخطر تقتضى الاكتفاء بحزب سياسى واحد هو الحزب الوطنى حتى يتمكن من توحيد الأمة وتجنيد وحشد كافة طاقاتها لتحقيق الاستقلال(٣٥) .

أما الرأى الثانى فكان يرى فى تعدد الأحزاب قوة للأمة وتأكيدا لصلابتها وتقدمها اذ أنه لا توجد الأحزاب الا فى الأمم القوية التى بلغت أشدها وتكون الأحزاب كالشجرة التى تتفرع الى أغصان كثيرة لكنها ترتبط بالجذع الكبير الراسخ بجذوره فى أعماق الأرض ، فكذلك الأمة القوية هى الجذع الراسخ وفروعها بمثابة الأحزاب المختلفة الاتجاهات(٣٦) .

ثم هناك رأى آخر يرى أن العمل الحزبى أفضل من العمل الفردى الذى يمكن أن ينتهى بموت الفرد ، كما أن وجود أحزاب معتدلة بجانب حزب متطرف يعطى للانجليز الفرصة فى التفاهم معهم فيكون أحدهم حلقة اتصال بين الأمة والاحتلال(٣٧) ومع وجاهة وجهات النظر السابقة فاننا نرى أن ظروف مصر فى تلك الفترة وهى فترة الاحتلال كانت تتطلب وجود حزب واحد قوى يستطيع قيادة الأمة نحو الاستقلال بعيدا عن المهاترات الحزبية التى غالبا ما تنشأ نتيجة الصراع بين مختلف الاتجاهات والنزعات الحزبية ، أما بعد أن يتحقق الجلاء فتعدد الأحزاب مطلوب لممارسة الحياة الديمقراطية .

وعلى كل حال فقد خاضت مصر غمار الحياة الحزبية ، وأصبح لزاما على الحزب الوطنى أن يحمل لواء الاستقلال .

---

(٣٥) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٥ .
(٣٦) محمد توحيد : كيف يبحث الوطنى فى مسألة الأحزاب السياسية فى مصر ص ٩٠ .
(٣٧) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٦ .

الحزب الوطنى ودوره فى قيادة الحركة الوطنية أيام مصطفى كامل :

ارتبطت الطبقة المتوسطة وبوجه خاص الكامنة منهـا فى المـدن بشخصية مصطفى كامل الرومانسية[٣٨] أشد الارتباط كما ارتبط الشباب بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة بمصطفى كامل لدرجة أن أصبحت بعض المدارس مكانا للمناقشات السياسية التى أثارها الحزب الوطنى[٣٩] ومع ذلك فانه لا يمكن القول بأن الحزب الوطنى كان يمثل كافة المثقفين لأن هؤلاء وزعوا بين كافة الأحزاب[٤٠] كما أن الحزب الوطنى فى بداية تكوينه لم يهتم بجذب الفلاحين اليه وذلك لأن دعـوته بالتقارب من الدولة العثمانية جعلت الفلاحين يبتعدون عنه نظرا لمـا لاقاه الفلاحون من العسف أثناء الحكم العثمانى ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى حادثة دنشواى التى كانت فرصة لوصول صوت مصطفى كامل للفلاحين، يضاف الى ذلك أ نانشاط الحزب الوطنى تركز فى المدن وبوجه خاص فى الاسكندرية[٤١] والقاهرة والمدن الكبرى بالوجه البحرى أما فى الوجه القبلى فلم يكن للحزب الوطنى فيه نفوذ يذكر[٤٢] .

ولعل أدق تحليل لادور الحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنيـة هى ما ذكره الأستاذ محمد شفيق غربال اذ يقول « أبسط استجابة كانت

---

(٣٨) تتميز الروح الرومانسية Romantic بأمور ثلاثة هى :
١ ــ الاهتمام بتحليل الذات ووصف المشاعر الذاتية .
٢ ــ حب الطبيعة .
٣ ــ التمرد على الأوضاع القائمة والتقاليد الموروثة ثم على المجتمـع بوجه عام .
د. عبد المنعم المليحى : النمو النفسى . القاهرة . لجنـة الجامعيين للنشر ص ١٦١ .
Alexander.J. OP . cit P. 229

(٤٠) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ص ٢٧ .

(41) Landau J. op. cit p. 135 .

(٤٢) د. محمد انيس : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

استجابة مصطفى كامل : تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد ومن كل شطاره ، لمصر عدو واحد هو الاحتلال ، ولمصر مقصد واحد وهو الجلاء. وما عدا ذلك فتفصيل له وقته ، الاصلاح الحكومى وغير الحكومى ، الحكومة النيابية ، تسوية أمر الامتيازات ، السيادة العثمانية كلها حقا أشياء مهمة وأشياء ينبغى ألا تهمل ، ولكنها لا ينبغى مطلقا أن تطغى على المقصد الأساسى الجلاء ، أو تضعف من مقاومة العدو الأصلى الانجليز • ومصدر العقيدة أيضا بسيط كل البساطة هو حب الوطن حبا خالصا لا يشوبه التفكير فى انتفاع أو فى مصلحة • فكانت حملة مصطفى كامل اذن تستخدم ثلاث وسائل الوسيلة الأولى : ألا يأس مطلقا ، ألا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز وكلام مأجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع والوسيلة الثانية لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولاتهم تبسيط مركز البلاد الدولى بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ويكفى كرههم لها لتمسككم بها • والوسيلة الثالثة لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم ، هو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر[٤٣] •

ولقد كان دور الحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية يتمثل بصفة خاصة فى ازالة الآثار النفسية الكريهة التى أحدثها تصدع الحركة الوطنية بعد هزيمة العرابيين فى التل الكبير ، وبعد أن نجح الاحتلال فى أوائل عهده فى احداث حالة من البلبلة والاضطراب فى تفكير المصريين ، كما تسبب فى ايجاد حالة من القنوط واليأس والحيرة استولت على قلوب المصريين[٤٤] وهذا ما عبر عنه المثل القائل « اتفق المصريون على ألا يتفقوا » •

---

(٤٣) تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ص ٢٧ .
(٤٤) د. محمد أنيس : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ص ١٦ .

وقد عبر حافظ ابراهيم شاعر النيل عن حالة البلبلة والقنوط التى أصابت البلاد بقوله :

ان عشرين حجـــة بعـــد خمس علمتنا السكوت مهمـا تمـــادى
أمـــة النيل أكبرت أن تعـــادى من رماهـــا ، وآشفقت أن تعادى
ليس فيهـــا الا كـــلام والا حســـرة بعـــد حسرة تتهـــادى
لا جرى النيل فى نواحيك يا مصر ولا جـادك الحيـا حيث جـادا
أأنت أنبت ذلك النبت يا مصـــر فاضـــحى عليـــك شـــوكا قتـــادا

ولقد تميز برنامج الحزب الوطنى بالوضوح ورتب مطالبه الوطنية حسب أهميتها فأعطى للجلاء الأولوية على الدستور ، وبذلك كان حزب التعبير عن الواقع مما كفل له تأييد أغلبية الجماهير فكان له أعظم وزن فى الحركة السياسية المصرية فى تلك الفترة[٤٥] وقد أثمرت دعـــوة الحزب الوطنى فى جمع شمل المصريين حول مطلب الجلاء الذى اقترن بفكرة الحياة الدستورية ولمـــا اتضح أن ذلك لا يتم الا بالارتقاء بأفراد الأمة اهتم الحزب الوطنى بنشر التعليم كما نادى برفـــع الغبن عن الطبقات الكادحة من أبناء الشعب[٤٦] .

ومما يؤخذ على الحزب الوطنى موقفـــه المتخلف من القضـــــايا الاجتماعية ، فرغم أن مؤسسه تعلم فى أوربا فقد ظل متمسكا بالقديم أشد الاستمساك فهاجم قاسم أمين عندما أصدر كتابه تحرير المرأة واتهمه بمخالفة الدين ، كما هاجم الشيخ على يوسف لموقفه من قضية واتهمه بمخالفة الدين[٤٧] ، كما هاجم الشيخ على يوسف لموقفه من قضية كامل حاول تملق الشعب فيما هو عزيز لديه من عادات وأوهام لاستغلاله فى الغايات السياسية .

---

(٤٥) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٩ .
(٤٦) فتحى رضوان : كفاحنا الوطنى فى نصف قرن ص ٦١ .
(٤٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٢٧ .

ويؤخذ على الحزب الوطنى أيضا أنه لم يكن له دور بارز داخل القرية المصرية فاعتمد على الطبقة المثقفة مع أن الحركات الجماهيرية لا تتعمق جذورها الا بالاعتماد على القوى الفلاحية التى تمثل غالبية أفراد المجتمع .

كما يؤخذ عليه أنه لم يطرح على جماهير الشعب المصرى تصورات لآفاق جديدة مثل التى طرحتها الأحزاب الأخرى(٤٨) ولعل الخديو عباس الثانى كان محقا فيما قاله عن مصطفى كامل بأنه لم يكن مفرطا فى عصريته وأن أفكاره كانت أقرب الى التقليد الشرقى(٤٩) يضاف الى ذلك ما ذكرته جوليت آدم من أن مصطفى كامل كان يشفع أعماله بالتقاليد العربية الأصيلة حتى يرضى شمم عنصره الذى لا يقبل فى ذلك الوقت الا أن يسترد ما أعاره لأوربا(٥٠) .

وعلى كل حال فقد لعب الحزب الوطنى دورا بارزا فى حركة النضال الوطنى حتى يمكن القول أنه كان صاحب الفضل فى تهيئة الطريق أمام ثورة ١٩١٩ .

---

(٤٨) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٣ .

(٤٩) المصرى فى ١٤ مايو ١٩٥١ .

(٥٠) جوليت آدم ، المرجع السابق ص ٢٣٠ — ٢٣١ .